السنة الثانية (سبتمبر وأكتوبر سنة ١٩٢٤) العدد الخامس

صحيفة المعلمين

مجلة علمية ، أدبية ، خلقية ، تصدرها نقابة المعلمين

قررت وزارتا المعارف والأوقاف ومجالس المديريات الاشتراك فيها

وتوزيعها بجميع مدارسها

مديرها المسئول ورئيس تحريرها

الشيخ ابو الفتح الفقى

نقيب المعلمين والعضو بمجلس النواب

﴿ الاشتراك ﴾

	م
لغير الطلبة	٢٥
للطلبة	١٥
ثمن النسخة الواحدة	٥

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر

اعضاء لجنة الصحيفة

(١) الشيخ أبو الفتح الفقى نقيب المعلمين والعضو بمجلس النواب
(٢) احمد افندى البدرى ناظر مدرسة عابدين الاميرية
(٣) الدكتور احمد افندى ضيف الاستاذ بالجامعة المصرية
(٤) الدكتور احمد افندى عبد السلام الكردانى الاستاذ بمدرسة الهندسة
(٥) احمد افندى على عباس المفتش بالتعليم الاولي باسكندرية
(٦) حسن افندي خليفه الاستاذ بدار العلوم
(٧) الشيخ سباعى بيومى « بمدرسة الظاهر الاميرية
(٨) سيد افندى يوسف « بالمدرسة الثانوية الملكية أمين الصندوق
(٩) الشيخ شرف الدين خطاب الاستاذ بدار العلوم
(١٠) عبد الحميد افندى حسن « بدار العلوم
(١١) عبد الحميد افندى خضر ناظر مدرسة المعلمين بالمنصورة
(١٢) عبد الرحمن افندى كامل الاستاذ بمدرسة الامير فاروق
(١٣) الشيخ على السباعى « « عبد العزيز
(١٤) على افندى فهمى الرشيدى « « المعلمين الثانوية
(١٥) الدكتور على افندى مصطفى مشرفه الاستاذ بمدرسة المعلمين العليا
(١٦) قسطندى بك تيوفانيدس الاستاذ بالمدرسة الخديوية — سكرتير النقابة
(١٧) محمد افندى حسونه « بمدرسة المعلمين العليا
(١٨) محمد افندى بدران « بالمدرسة الثانوية الملكية
(١٩) محمد افندى حسن الاستاذ بمدرسة فؤاد الاول الثانوية
(٢٠) محمد افندى على المجذوب « بدار العلوم
(٢١) الشيخ محمود حسن حسنين « بمدرسة المعلمات ببولاق
(٢٢) محمود افندى حمزه « « عبد العزيز — سكرتير الصحيفة
(٢٣) الشيخ مصطفى القا « « الامير فاروق
(٢٤) مصطفى افندى عامر « « المعلمين العليا

المغفور له محمد عاطف بركات باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

حفلة تأبين

المغفور له عاطف بركات باشا

في يوم الاربعاء ٣٠ من يوليه سنة ١٩٢٤ اهتزت أرجاء مصر جزعا وتفتت قلوب شعبها حزنا لوفاة عظيم من عظمائها وابن ناهض من أبر أبنائها ذلك هو المأسوف عليه المغفور له محمد عاطف بركات باشا الغنى بأعماله وآثاره عن كل تعريف وتمجيد فقد كانت له في حياته القصيرة جولات صادقات في خدمة الأمة وخدمات جمة في العمل على انهاضها من نواح متعددة منذ كان مفتشا بالمعارف فناظرا مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي فجنديا باسلا في حومة جهادها السياسي فنائبا مخلصا في برلمانها الحديث ثم وكيلا أعظم به من وكيل لوزارة المعارف في هذا العهد الجديد عهد النهوض بالتعليم الصحيح والعمل على نشره بين كل الطبقات

لهذا كان نعيه ألم شديد على الأمة عامة وعلى كل فئة سعدت بالاتصال به فى عمل ما خاصة فكان الناس يعزى بعضهم بعضا. وما كادت تنقضى الايام الرسمية للعزاء حتى نهضت فئات كثيرة تعلن عزمها على تأبينه كل فئة من الوجهة التى تمت بها اليه ولكن ارتأت كل هذه الفئات أن يضمها حفل واحد تحت رياسة حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا وزير المعارف وعهد بتنظيم ذلك الى لجنة خاصة

أعدت تلك اللجنة سرادقا فخما ضخما فى فناء مدرسة المعلمين العليا بالمنيرة لاجتماع المدعوين الى تلك الحفلة العظيمة وفى الساعة الخامسة من مساء الخميس ١١ من سبتمبر سنة ١٩٢٤ كان السرادق مكتظا بعلماء مصر وأدبائها وأعضاء مجلس نوابها وشيوخها وكثير من كبار الموظفين ورجال التعليم والوجوه والاعيان يتصدر مجلسهم حضرة صاحب الدولة وزير المعارف ورئيس الوزراء بالنيابة وحضرات أصحاب الدولة والمعالى الوزراء ووكلاء الوزارات ومديرو المصالح وكان صاحب المعالى محمد فتح الله باشا بركات وزير الزراعة شقيق الفقيد ونجله صاحب العزة بهى الدين بركات بك مدير ادارة المحاكم يتلقيان الوافدين بعبارات الشكر والترحيب

ولما انتظم عقد الاجتماع افتتحت الحفلة بشىء من آى الذكر الحكيم ثم وقف حضرة الاستاذ الشيخ أبى الفتح الفقى نقيب المعلمين وعضو مجلس النواب يشرح نشأة الفقيد فألقى خطبة ضافية وصف فيها تلك النشأة وما ظهر عليه أبان شبابه من سمات النبوغ وحرية الفكر وكبير الاقدام وها هى هذه : —

خطبة نقيب المعلمين

الشيخ أبى الفتح الفق

بسم الله أفتتح هـذه الحفلة ، ومن فضله أستمطر الرحمات ، على فقيد العلم والوطن المرحوم محمـد عاطف بركات باشا . وأقدم لحضرة صاحب الدولة وزير المعارف جزيل الشكر ان على تفضله برياسة هذه الحفـلة ، كما أشكر لحضراتكم جميعاً تفضلكم بتشريفها ومشاركتنا فى القيام بواجب من أقدس الواجبات ، لفقيد من أعظم أبناء مصر المخلصين

سادتى : كنت أود أن أقف هذا الموقف لافتتح حفلة تكريمنا للفقيد العزيز الذى طالما طلبت منه قبولها ، فـكان يسألنى ارجاءها معللا ذلك ، بأنه لم يفعل بعد شيئا يستحق التكريم ، مع أنه كما يعلم كل مصرى شغل كل لحظة من حياته الغالية بما يستحق الاعجاب والاجلال والتعظيم ، فضلا عن الاحتفاء والتكريم كنت أود ذلك ، غير أن للقدر قضاء لايرد ، وأحكاماً لاتنقض ، فقضى على أن أقف هـذا الموقف الرهيب ، لافتتح حفلة تأبينه ، والفكر مضطرب ، والقلب مكتئب ، والنفس حزينة ، والـكبد حرى ، فشتان مابين الموقفين ، ولله الامر من قبل ومن بعد . وانا لله وانا اليه راجعون

سادتى : كلمتى متعلقة بنشأة الفقيد العزيز وتربيته الاولية وما كان عليه فى طفولته وصباه .

نسبه : هو محمد عاطف بن عبد الله افندى ابن الشيخ عبده بن الشيخ احمد بن الشيخ عبده بركات وينتهى نسبه الى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه فهو حد آل بركات الأعلى . أما الشيخ عبده بركات الكبير وابنه الشيخ أحمد فكانا من أكبر علماء الأزهر الشريف ، ومن أشهر وأكبر من تلقى عليهما العلم بالأزهر الشيخ محمد البهى أحد أئمة الطريقة الشاذلية المشهورة وصاحب المسجد والمقام المشهورين بطنطا ، وكان كثير الزيارة لهما ببلدهما منية المرشد أما الشيخ عبده بركات الصغير وهو الجد الادنى للفقيد ، فكان عظيما فى قومه ، تقيا ورعا صالحا ، مشهورا بالصدق والامانة والاستقامة . لذلك اتخذه الوالى محمد على شريكا له فى تجارته كما كانت عادته مع كبار رجال بلاده . ولما آنس فيه الصدق والامانة والاخلاص عينه فى وظيفة من الوظائف الحكومية اللائقة به . ومن اللطائف المروية عن الشيخ عبده هذا أنه كان يلبس الشروال التركى وما يتبعه من الملبس ما دام فى أعمال وظيفته ، فاذا ما ذهب لزيارة بلده وآله وقومه خلع هذا اللباس ولبس ملبسه الوطنى وهو الزعبوط والقفطان حتى لا يتنكر لقومه ولا يزدهى عليهم ، وفى ذلك كثير من الاحتشام والليقان المعروفين فى ذلك الوقت أما والد الفقيد فهو عبد الله أفندى بركات . وكان قوى الجسم ، عظيم البنية ، حاد النظر ، وجيها فى بلاده عظيما فى قومه ، جميل المحاضرة ، حلو الحديث ، جذابا فى معاشرته ، براً بآله وفياً لاخوانه ، مجيبا لدعوة المضطر ولو كان من أعدائه ، وله فى ذلك مواقف معروفة لا أستطيع ذكرها لان من وقعت لهم لا يزالون أحياء

فليست بعد من حق التاريخ ومن أخص صفاته انه كان جم التواضع مع المتواضعين ، عظيم الترفع ، شديد التكبر على المتكبرين . وقد وصفه الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده وكان كثير الاتصال به بوساطة حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول

قال الامام : (لم أر فى مصر رجلين متشابهين تمام المشابهة فى علو النفس والاستمساك بالعقيدة ، والترفع عن منازلة الصغير ، ومناهضة الكبير متى اقتضى الحال مثل رياض باشا وعبد الله افندى بركات) ولمكانته هذه عينته الحكومة مأموراً لمركز دسوق فكان فى ذلك الوقت المملوء بالقسوة والظلم والاستبداد بعيداً عن كل هذه الصفات فحصل بينه وبين اسماعيل صديق باشا المفتش خلاف شديد وقد كان للمفتش من النفوذ والسلطان ما كان مما هو معروف لحضراتكم فلم يخضع عبد الله افندى لرأى المفتش لما فيه من ظلم وقاومه مقاومة شديدة أدت الى اعتزاله خدمة الحكومة . فذهب الى قريته منية المرشد من أعمال مركز فوه الآن وأخذ فى مباشرة زراعته بما هو عليه من القوة وسداد الرأى ، وعظيم الحكمة . وحوالى هذا الوقت رزق بمحمد عاطف ولم يعرف بالدقة يوم ميلاده ولا شهره ولكن من الثابت انه ولد فى سنة ١٢٩١ هـ ، ١٨٧٤م رزق به من والدة من أشرف أسر بلادها وهى أخت حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول

وكانت تقية صالحة امتازت بصفة واحدة من أشرف الصفات وهى الاحسان الى الفقراء وإنقاذ المضطرين . جاء هـذا المولود قرة عين لابويه فعنيا بتعهده فنشأ قوى الجسم ، كثير الحركة ، حاد النظر صائبه ميالا الى الحرية فى ألعابه ، نزاعا الى الاستقلال فى نزهته فنما جسمه بسرعة وساعد على ذلك ما كان عليه والده من منح أولاده أعظم قسط من الحرية على مابه من صغر فى السن وما عليه منطقة بلده من جودة الهواء ، وحسن المناخ لقربها من ساحل البحر الابيض المتوسط . نمت قوة جسمه وتبعها نمو عقله بالطبيعة وبما كان يلقيه عليه والده الذى كان من أخص صفاته بث الرجولة فى نفوس أطفاله فكان يجمعهم فى مجلس واحد مع زائريه مهما كانوا عظاما أو كبارا ، لافرق فى ذلك بين البنات منهم والبنين ، فكانوا يجلسون مع الزوار فى أماكن الجلوس ويأكلون معهم فى حجرة الاكل ويخرجون معهم للتنزه متى رغب الاطفال فى كل هذا . كان لابنائه من هذه الحرية الواسعة مجال عظيم لاعمال قوتى التفكير والملاحظة ، ومدرسة دقيقة التعاليم ، جيدة النظام فى آداب المعاشرة ، ومعرفة قوانين الاجتماع والمسامرة ، ومن الادلة على مقدار هذه الحرية ان الفقيد طلب من والده وهو فى سن الخامسة ان يلبس جبة وقفطانا فحقق والده رغبته حتى لايحجر على ميوله ، ولا يقيد رغباته وفى هذه السن أدخله والده مكتب القرية . وكان فقيه المكتب يسمى الشيخ أبا العينين سلام . ومما يدل على اصالة رأى والد الفقيد ، وعظيم حكمته أنه رأى ان ابنه

الصغير عاطفا قد يتصور ان أباه رئيس القرية وعظيمها وان الفقيه بالنسبة اليه رجل رقيق الحال ، ضعيف الحول وان هذا قد يدعو ابنه الى عدم احترام معلمه والانقياد لاوامره ، ولن يثمر تعليم مالم تتوافر فيه هذه الشرائط . فأوهم عاطفا ان الفقيه أعظم رجل فى القرية ،وأنه صاحب الحول والطول والنفوذ والسلطان فيها . هذا فضلا عن مقامه الدينى وقربه من الله وان من اعتدى عليه يعاقبه الله عقابا شديدا ، وأن العمدة وكان ابن عم الفقيد لايعد شيئا مذكورا بجانب هذا الفقيه بل ان الوالد نفسه أقل من الفقيه سلطانا ونفوذا . فاعدة تهذيبية (بيداجوجية) متينة وهى ان التلميذ قلما يستفيد من معلمه فائدة إلا اذا امتلأ قلبه بحبه واحترامه ، وحافظ على أوامره وطاعته وان هذه الحكمة لخير برهان يؤيد رأى فلاسفة التربية بأن كل انسان خلق معلما ولا ينقصه الا المران و ثارة تلك القوة الكامنة فى نفسه ليصبح معلما ماهرا ومربيا حكيما .

ذهب عاطف الى المكتب وهو مزود بتلك النصائح الغالية ومكث زمنا بين يدى هذا الفقيه وهو عامل بنصح ابيه الى أن حدثت الحادثة الآتية : ذلك ان الفقيه جاءه ضيف فى يوم من الايام ومعه مطيته (حماره) فخرها الفقيه خفية فى شأن من شؤونه الخاصة ، ولما أراد الضيف الذهاب الى بلده تفقد مطيته فلم يجدها ؛ واستحيا الفقيه ان يخبر ضيفه بما فعل فذهب الضيف الى العمدة وأخبره بفقدان مطيته فبحث عنها الى ان وجدها ووقف على حقيقة الامر فأهان الفقيه وضربه . كل هذا

وعاطف الصغير مستتر ينظر ماحصل بذلك العظيم المحترم . فدهش وأدرك بنباهته وقوة ملاحظته مقام الفقيه الموهوم . فأسرع الى والده وقص عليه القصة وذكره بما قال فى شأن الفقيه ثم عقب ذلك بقوله

(لم تصدقنى فيما قلت عن الفقيه فما غرضك الذى أخفيته عنى) .

حدث هذا وهو فى سن السابعة فما أدله على ما ظهر فيه من ذكاء ، وما أصدقه على مانجلى فيه من قوة الملاحظة ، ودقة النظر ، وتقدير الاشياء تقديراً حقيقيا صادقا

رأى والده بعد نمو قواه أن يكمله فعهد به الى رجل من أقاربه هو حضرة عبد الله أفندى الحفناوى التاجر بمصر الآن وكان ناظراً لحلقة أسماك بحيرة البرلس اذ ذاك . عهد بعاطف اليه ليعلمه الخط والحساب وكان فى سن التاسعة تقريبا فأظهر تقدما مدهشا برهن على ماوصل اليه وهو طالب بدار العلوم وانجلترا من الحذق فى الرياضيات . وبعد سنتين أى وهو فى سن الحادية عشرة أحضره والده الى مصر وألحقه بمدرسة الجمالية الابتدائية ومن ذلك الوقت احتضنته حضرة خاله سعد أفندى زغلول المحامى الكبير إذ ذاك . فكان يسكن معه فى بيت واحد ويأكل معه على مائدة واحدة ، ويتلقى تعاليمه العالية فى الحياة ، والرجولة والكرامة والشجاعة . مكث بهذه المدرسة سنتين ثم رغب فى الالتحاق بالأزهر الشريف وأسباب ذلك المعروفة (١) شوقه الى التمتع بالحرية التى كان يتمتع بها الازهريون فى تعليمهم وبعده عن القيود المدرسية التى كان يشعر بأنها ثقيلة لامعنى لها (٢) عدم وقوف والده فى طريق رغبات

أبنائه لانه كما أسلفنا كان يمنحهم كامل حريتهم فى أعمالهم .

مكث بالازهر أربع سنوات تقريبا ثم التحق بدار العلوم ومكث بها أربع سنوات أيضا كل هذا وهو فى حضانة خاله بل هو أستاذه الأعظم . ولحياته فى دار العلوم دور خاص سيتكلم عليه أحد حضرات الزملاء .

سادتى : مما تقدم يظهر لحضراتكم ان نشأته الاولى جمعت الأسس الجوهرية الثلاثة للتربية الصالحة على خير ماينبغى أن تكون عليه وهى (١) الوراثة (٢) البيئة (٣) المدرسة .

(١) أما الوراثة فليس هناك وراثة خيراً من أن يرث الطفل آباءه وأجداده فى العلم والذكاء والصدق والاستقامة والوفاء والضراحة والشجاعة واحترام النفس والاحتفاظ بالكرامة الشخصية . ورث آباءه وأجداده فى العلم غير انه تفوق عليهم بالجمع بين العلوم الدينية والكونية وبين القديم والحديث وبين العلوم الشرقية والغربية هذه الوراثة لم تقف عند هذا الحد بل ورث جده الاعلى أبا بكر رضى الله عنه فى تجسم الفضيلة فى نفسه ، فلم يعرف عنه انه زل أو هفا ، أو مال مع الهوى ، وفى تجرده من الرياء ، والبعد عن المماراة فى الحق ، ومضاء العزيمة ، وقوة العارضة .

(٢) البيئة : نشأ كما رأيتم فى بيئة مملوءة بالحرية وكرم النفس وجميع الصفات الفاضلة . تعهده والده فى طفولته وخاله فى صباه . وهما من علمنا . ولعمرى لتلك بيئة قلما تتوافر لاحد . أضف الى ذلك والدة تقية شفيقة

محسنة . فكان اذا مارجع من مجلس أبيه الى مجلسها تلقى عليها الدروس العملية فى تربية العاطفة ، من حنو على البائسين ومساعدة المعوزين . والأم كما هو معروف فى علم التربية أقدر أستاذ على ملء قلوب أبنائها بالأعمال الطيبة وحب الخير وخدمة الانسانية . هـذه الصفات هى أقوى العوامل فى تحسين حال الانسان وتخفيف ويلات الانسانية . وقـد أثمرت هذه الدروس فى نفس الفقيـد أطيب الاثمار . أعرف ما كان يفعله بنفسى وقد اطلعت لظروف قهرية على كثير من إحسانه وانقاذه المضطرين

(٣) المدرسة : لقد تربى عاطف فى أرقى وأعظم مدرسة مصرية ، فى مدرسة بزت مدارس سقراط وارسطاطاليس وأفلاطون فى مدرسة من الاسف أن مصر لم توفق لانشاء مدرسة أخرى مماثلة لها حتى الآن. لا أعنى بتلك المدرسة مدرسة الجمالية ولا الازهر ولا دار العلوم وانما أعنى مدرسة سعد زغلول. هذه المدرسة السعدية الزغلولية هى التى كونت عاطفا هذا التكوين الفذ. هى مدرسة الحياة الحقة التى صيرت عاطفا قوة مستقلة لانظير لها . هذه المدرسة كانت مقصورة على عاطف فى فصولها الداخلية فلم يتمتع بجميع مزاياها سواه

سادتى : كل هذه العوامل كونت من عاطف رجلا ذا عزيمة حديدية فاذا أراد لم يقف فى طريق تنفيذ إرادته أى عائق لصبره العظيم وقدرته النادرة على تذليل العقبات واذا غضب للحق غضب غضبة عربية قرشية. وناصر الحق ولو أدى ذلك الى حتفه . وليست مواقفه فى وزارة المعارف

فى الايام الدنلوبية السود ، وفى مدرسة القضاء أيام محنتها وامتهانها من العظماء والامراء ، ورياسته للجنة إضراب الموظفين العليا بجهولة لاحد. كما أن يوم سيشل ليس عنا ببعيد . مرت به كل تلك الحوادث ، وهو كالطود الشامخ ، فما تزعزع وما ضعف ، وما هان وما استكان ، وما قصر فى حق الوطن وما خان

هذه صفات الفقيد العزيز العالية ، التى ماقامت لامة قائمة بغيرها ، ولا وصل قوم الى مجد بدونها ، ولا عز بلد مغتصب مغلوب على أمره بغير الاحتفاظ بها فهل تجد مصر تلك الأم الحزينة على ابن من أبر أبنائها بها ، وأوفاهم لها ، وأخلصهم لواجبها ، وأشجعهم على المطالبة بحقها من يقوم مقامه ، أو يسد فراغه ، أو يملأ مكانه ؟ كلا ثم كلا. فعزاءك يامصر عزاء للعلم والاخلاق والفضيلة ، عزاءك أيها الرئيس الجليل ، والزعيم الكبير ، عزاء لحضرة صاحب المعالى الشقيق الكريم ولحضرات آل بركات أجمعين ، بل عزاء لجميع أبناء النيل الذين فقدوا رجل العلم والاصلاح والواجب وهم أحوج مايكونون اليه

ربنا انا نضرع اليك بقلوب خاشعة أن تتغمد الفقيد برحمتك الواسعة وأن تتقبل فيه دعاء أبى بكر جده الأعلى فى ذريته « وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة . وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله

وبعد أن أتم حضرة النقيب خطابته فى نشأة الفقيد قام حضرة الشيخ عبد العزيز خليل الأستاذ بمدرسة دار العلوم فألقى خطبة صادقة التعبير عن حياته رحمه الله اذ كان طالبا بمدرسة دار العلوم استهلها باعلان أسف مصر على فقده أشد ما تكون محتاجة اليه . ثم عرج على تلك الحياة المدرسية فأبان أنه كان من نوابغ اخوانه على حداثة سنه ابان الدخول ولكنه كان أنبغهم غير منازع مدة اقامته فيها حتى أن هذا النبوغ استرعى أنظار المترددين على المدرسة وبخاصة صاحب الهمة الشماء والنظر البعيد على مبارك باشا مؤسسها ووزير المعارف فقد كان يعجبه حديثه وحواره ويسر السرور كله من حسن اجابته. قال له مرة عقب اجابة سديدة « أنت حقيقة من بيت النبوغ » وكثيرا ما كان يتشوف أن يرى فى طلبة دار العلوم من يتوسم فى نجابته أنه سيكون ناظرا لها فى مستقبل أيامه ليكون خليفة له فى العناية بها والعمل على رفعة شأنها

تلك كانت احدى آياته التى اطلع عليها ابراهيم بك مصطفى ناظر المدرسة اذ ذاك وما زالا فى سبيل طلبها حتى دخل عاطف فكان البغية لهما وبشراه بذلك وبأنه يكمل الدراسة بأوربا بعد أن يتمها بالمدرسة وكذلك حصل وكان أول مبعوث الى انجلترا ومما يذكر فى هذه السبيل تعطيل البعث الى انجلترا من دار العلوم سنة قبل ارساله حتى يكون هو أول مرسل يحفظ لسان المصرى ويكون نموذجا يحاكى بعد . ولما أرسل رحمه الله سار سير المجد البطل ثم حضر فكان الذى رأيتموه

أما أخلاقه اذ كان طالبا فأجل الاستاذ في انه كان نابها غير محسود يحب الخير لاخوانه وقل ان تخضع النفوس لذلك كما كان صريحا في الحق ذا دعابة وظرف رسول محبة بين اخوانه ووئام

ثم قام حضرة الأديب الفاضل الاستاذ الشيخ علي الجارم المفتش بوزارة المعارف فألقى هذه القصيدة العصماء

مات الحجى وقضى جلال النادى

العين عبرى والنفوس صوادى ... مات الحجى وقضى جلال النادى
أرجاء ذا الوادى الخصيب جنابه ... ماذا أصابك يا رجاء النادى
سهم رماك به الحمام مسدد ... أودى بأى روية وسداد
وقضى على الآمال فى أفنانها ... فذوت ولم تمهل لوقت حصاد
وأصاب من قبس الزكانة شعلة ... وهاجة فغدت فتيت رماد
وطوى حساما منك فى جفن الثرى ... قد كان يستعصى على الاغماد

***

صحف الحياة وأنت أصدق قارىء ... اسطورها تطوى الى ميعاد
والورد يزهو ناضرا فوق الربا ... ويعود حينا وهو شوك قتاد
والماء يجتذب النفوس غميره ... ولقد يكون الماء غصة صادى
ماهذه الدنيا ؟ أمامن نعمة ... فيها لغير تشتت ونفاد
قد حيرت شيخ المعرة حقبة ... فى نوح باك أو ترنم شادى

تعب الحياة يجيء من لذاتها ولذيذها يجنى من الاجهاد
يطوى بساط العرس فيها مأتم فى اثره عيد من الأعياد
قد كان فى رزء الحسين بكربلا عيد اليزيد وعيد آل زياد

***

أيموت عاطف والكنانة ترتجى وثباته واليوم يوم جلاد
أيموت فى الميدان لم يغمد له سيف ولم يخلع نياط نجاد
أيموت والنصر المبين ملوح بلوائه لطلائع الأجناد
ويغيض ماء كان أيسر قطرة منه حياة خلائق وبلاد
عمر اذا قلت سنوه فانما آثارهن كثيرة التعداد
كالعطر تجمع قطرة من مائه زهرا ينوء بغصنه الميادُ
كم من فتى فى التراب وخلفه ذكر يزاحم منكب الآباد
ومعمر عبر الوجود فما رنا طرف اليه ولا بكى لبعاد
عمر الرجال يقاس بالمجد الذى شادوه لا بتقادم الميلاد

***

عز المعارف مطرقا فى عاطف زين الفناء وسيد الأنداد
للعلم والأخلاق كان معاضدا فطوى الحياة وفت فى الأعضاد
مازال يكدح والخطوب بمرصد والداء يطغى والزمان يعادى
لم تثنه الآلام عن غاياته أو تلوه الاسقام دون مراد
فالليل موصول بيوم حافل واليوم معقود بليل سهاد
وكأنما نصح الطبيب بسمعه هذر الوشاة وزفرة الحساد

وهب الحياة كريمة لبلاده ومضى الى الأخرى صريع جهاد
واذا بذلت لمصر كل عزيزة الا الحياة فأنت غير جواد

* * *

حملوا على الأعواد خير وديعة (أعلمت من حملوا على الأعواد)
فى ركبه زمر السموات العلا تحدو مطيته الخير معاد
والصبر ناء والرؤوس خواشع والدمع جار والقلوب صوادى
حملوا على النعش الكريم سلالة الـ حسب الكريم وصفوة الأمجاد
وتحملوه ليدفنوا تحت الثرى شمم الاباة وصولة الآساد
حف الشباب به وفى عبراتهم كمد الجنود لمصرع القواد

* * *

يارامى الأمل البعيد بهمة شماء تدرك غاية الابعاد
وعقيدة لو صورت بمثال كانت تكون رصانة الأطواد
لم يزهها ضاق المديح ولم تكن فى الحق ترهب صوله النقاد
وعزيمة لا الزجر نهنه همها يوما ولا فلت من الابعاد
كادت تدور مع الكواكب دورها بالنحس آونة وبالاسعاد
كانت أحز من المدى وأحد من غرب الظبى يسلان يوم طراد
وثقت بخالقها القدير فشمرت محمودة الاصدار والايراد
سيشل منه رأت هصورا يزدرى ألم الاسار وقسوة الاصفاد
لهفى عليه والديار بعيدة وخيال مصر مراوح ومغادى
متوثبا نحو المحيط كأنه صقر الفلاة بكفة الصياد

مادكه عصف الخطوب ولا ونى ... لزعازع الابراق والارعاد
لاتعجبوا من كان سعدا خاله ... ألفت له الأخلاق كل قياد
سعد الذي غرس المهيمن حبه ... فى كل جارحة وكل فؤاد

***

محي القضاء رماه فى ريعانه ... سهم القضاء فما له من فادى
وثبت عليه من المنون غوائل ... وعدت عليه من الزمان عوادى
شيدت دارا للقضاء فأصبحت ... للدين والأخلاق خير عماد
لو لم تجىء يوم الحساب بغيرها ... لسموت فوق منازل العباد
وبثثت روحك فى الشيوخ فكلهم ... داع الى نور النبوة هادى
وبنيت بالاخلاق منهم دولة ... بلغت بحولك أبعد الآماد
الدين سمح ان سلكت سبيله ... للخير لاللشر والافساد
فلكم رأينا فى المعابد أشعبا ... للختل يلبس بردة الزهاد

***

فزعت لك الأقلام فوق طروسها ... ومن المداد لبسن ثوب حداد
وتكاد تلتهب المنابر حسرة ... لما رحلت على خطيب اياد
والشعر أضحت هاطلات دموعه ... بحرا فناح عليك فى الانشاد
من لى وظل الموت داج بيننا ... بضياء ذاك الكوكب الوقاد
من لى بذاك الوجه بين غضونه ... أسطار أسرار الحياة بوادى
ياطالبا نور اليقين حياته ... جاء اليقين فسر بأوفر زاد
واملأ جفونك بالكرى فى غبطة ... قد كنت أحوج ساهد لرقاد

واخلع ثياب الداء عز دواؤه والبس بعدن أنفس الأبراد
واذهب كما ذهب الشباب مشيعاً بدم الجفون وحرقة الأكباد
سحت عليك مع الجنوب روائح وهمت عليك مع الشمال غوادى

* * *

وبعده اعتلى المنصة حضرة الاستاذ الكبير والمربى الفاضل محمد نصار بك فتكلم عن الفقيد مفتشا بوزارة المعارف فألقى كلمات استمدها من حياته معه فى التفتيش استمداد مخالط مشاهد وزميل ناقد فرأى فيها الحاضرون همة الفقيد وهو وكيل المعارف همة لاتعرف الملل وشهامة هى المثل الأعلى فى الكرامة وساق على ذلك وعلى مبتكراته فى التفتيش أمثالا حية هى خير نموذج للاستقلال فى الرأى وتقدير التبعة وغيرها من صفات العظماء الذين يعقم الزمان عن أن ينجب أمثالهم الا بين آن وآن

وأعقبه حضرة القاضى الفاضل الشيخ احمد أمين تلميذ الفقيد بمدرسة القضاء الشرعى فتكلم عن حياته كمدرس بمدرسة القضاء فألقى فى ذلك هذا الخطاب التحليلى الجميل

كلمة الاستاذ احمد امين

القاضى الشرعى الكبير

عزيز علينا أن نقف بالامس نكرمه ، واليوم نؤبنه
أنت البشارة والنعى معاً يا قرب مأتمه من العرس

ولكنها الدنيا خط فى ماء ، أو أثر فى بيداء وما الحياة الا مهزلة عمليات حسابية مختلفة الاعداد نتيجتها صفر دائما ، يرينا الموت هذه الحقيقة . ولكنها لمعة كلمة البرق ثم يعود الناس الى ضلالهم القديم

تتلمذت للفقيد أربعة عشر عاما أيام كنت طالبا فى مدرسة القضاء وأيام كنت مدرسا مساعدا له فى دروس الاخلاق . فطالعت بامعان وباعجاب صحيفة من حياته غاية فى الشرف والنبل والمجد ، بل قرأت منه كتابا فى التربية والتهذيب ملىء حكمة وروحا وحياة

درس لنا الاخلاق فابتدع فى المادة وفى الاسلوب جميعا ، أما فى المادة فقد هجر ما كان متعارفا من تدريس الاخلاق على شكل مواعظ يرص رصا . وانتحى النحو الفلسفى فى بحثه بحثا عقليا علميا فكان يترجم خير ما يقرأ ، ويحصر ما يترجم ، وأحيانا وبالمناسبة ينحى الكتاب ناحية ويقص علينا من تجاربه فى الحياة ومن مشاهداته فى العالم ما يكون خير تطبيق على نظريات العلم

أما فى الاسلوب فكان يرمى الى أن يعودنا الاستقلال فى الفكر والعمل فكان يلقى الدرس ويشرح نظريته ثم يترك كل طالب يحمل عبء نفسه فى كتابة ما سمع وربط الافكار بعضها ببعض فكان ذلك من أشق الدروس علينا أولا وأعودها بالفائدة علينا أخيراً — هذا فضلا عما كان لدراسة العلم نفسه من فائدة عظمى فقد شعر كل طالب ان درس الاخلاق منحه عينين أخريين نظر بهما للحياة من جديد

وأكسبه قوة على الحكم لم تكن له من قبل ومنحه قدرة على تقويم الاشياء قيما جديدة

كان للفقيد دروس اخرى قيمة ولكن لا بالمعنى المتعارف من الدروس ، طريقته فيها أشبه بطريقة سقراط ، كان يظهر فى الطلبة أوقات فراغهم فيلتف حوله كثير منهم فيتكلم معهم فى موضوع تخلقه المناسبة فيرد عليه الطلبة ويرد عليهم ويدفع الحجة بالحجة حتى يصل فى النهاية الى تكوين فكرة واضحة عند الطلبة فى الموضوع الذى يبحث فيه ، فكان ذلك درسا فى المنطق العملى من أنفذ الدروس — رأينا منه كيف كانت تعرض الفكرة فيفتتها ويحللها تحليلا فى منتهى الدقة ويسلط عليها من أشعة ذهنه مايضيئها من كل جانب — كانت اراؤه هذه تدوى بين الطلبة وتعارض وتحاكى وترن فى الآذان حتى يأتى موضوع جديد يحل محل القديم

كذلك كان شأنه مع الاساتذة ، يتحين فرصة اجتماعهم فيجلس معهم يستمع لحديثهم ثم يستمد من قولهم فكرة أو مبدأ يشرحه ويدلل عليه وكثيرا مايستطرد لنقد فكرة شائعة أو أسلوب فى التربية أو نحو ذلك ، وهو فيما يقول شجاع لا يبالى أكان سامعوه على رأيه أو غير رأيه ، هشوا له أو امتعضوا منه

قد كان فى المدرسة اساتذة من خيرة المحافظين وآخرون من خيرة الاحرار وكان عاطف حرا فى تفكيره تحرر عقله من كثير من التقاليد. ليست عاداتنا عنده خير العادات ولا آراؤنا خير الآراء ولا كتبنا

المؤلفة خير الكتب فكان يهاجم المحافظين مع الادب التام فى نقده وينزل الى ميدان البحث وهو واثق بالظفر لامعانه فى الفكرة قبل ان يعتنقها ولوضوح الحقائق فى ذهنه وضوحا تاما . وتميز كل حقيقة عن أختها فلا يختلط بها مايشابهها ، ولشعوره بقوة اقناعه . ومن ثم كان كبير الثقة برأيه يقدر أن يعدل عنه وقد أدته هذه الثقة الى قوته وصلابته فى تنفيذ مايرى فليس يرجع فى منتصف الطريق ولا يبالى بالعقبات العظيمة تعترضه وتقف فى سبيله كما لايعبأ بغضب الغاضبين وتأفف العدد العديد ، ثقة منه بأن الناس سوف يتطعمون الحق فينقلب غضبهم رضا وكراهيتهم حبا ، سمعته قبيل وفاته يصف حفلة أقيمت فى مدرسة الامريكيين للبنات فقال لى ان خير ماسمعه فى هذه الحفلة قول فتاة فى وصف رجل « انه يضحى شهرته وجاهه فى سبيل نصرة الحق » فكان اعجابه بهذه الجملة معبرا عما عرفناه عنه من تغلغل هذه الفكرة فى نفسه ومصادفتها هوى في فؤاده

تراه مع شدة وثوقه برأيه واسع الصدر جداً للرأى المخالف فهو يصغى لكل ناقد وأحيانا يشتد الناقد فى نقده ويشوب نقده بشىء كثير من الحدة أو التعريض فيقابل ذلك باطمئنان ويستخرج الحدة أو التعريض وحده ويضعه جانبا ثم يستخلص مافى قول الخصم من رأى فيرد عليه . لست أنسى يوما كان عاطف ينقد بعض اخوانى ويعيب عليه أنه شديد فى معاملته شدة تجاوزت الحد ويدلل على ذلك بأنه اشتغل مع عدة من الرؤساء كلهم غضب عليه وشكا منه فقلت أليست

كذلك مدرسة القضاء فقد اغضبت كل رئيس فما اتمت هذه الجملة حتى شعرت بشدة وقعها وتوقعت غضبه منها ولكن ما كان اشد عجبي اذا رأيته هادئا مطمئنا يرد على ماقلت من غير انفعال ويبين وجه الخطأ فى المقارنة

ومع سعة حريته فى التفكير كما ذكرت لم يكن تام الحرية عند العمل فكان عند وضع الرأى موضع التنفيذ يراعى كل مايحيط به من ظروف ويرى الاصلاح خطوة خطوة لاطفرة طفرة يراه كذلك فى وضع نظام مدرسة القضاء وفيما عهد اليه من برنامج التعليم فكان يمزج فكرته الحرة بشيء غير قليل من تقاليد المحافظين

ودرس آخر أعظم من هذا كله وهو ادارة المدرسة فانها الجو الأخلاق الذى يتنفس منه طلبة المدرسة واساتذتها — وفى الحق كانت به مدرسة القضاء مربى تثبت فيه الاخلاق الفاضلة ، أساس الادارة عنده مصلحة مدرسة لا مصلحة شخصه ، فخير اساتذة المدرسة انفعهم لها ولو كان فيه جفاء ، اكسد بضاعة عنده الملق والنفاق ان دخلا فى تقدير العامل فسلبا لا ايجابا

جد لايعرف دعة ، ولا يستوطىء راحة ، ألم تره قبيل وفاته قد خذلته قواه ولم يسعفه نشاطه ، يمشي متطرحا ويكاد يتساقط من الاعياء . وهو مع ذلك يتحامل على نفسه ويتطالب مايأباه القدر عليه

رجل بين الرجولة يكره السفاسف ولا يتدنى الى الصغائر ، لاتسمع له حديثا فى تافه من القول ، اذا تدنى محدثه رفعه هو الى مستواه فهو مملوء الهيبة موفور الكرامة

طبع على ان يعشق العمل ليسند اليه فهو يعطيه كل قلبه وكل تفكيره وكل حديثه وان شئت فقل كل احلامه ، أسندت اليه المدرسة فكانت شغلة الشاغل ، هى أغنيته وهى أحدوثته وهى شكواه وهى مفخرته — من أجل هذا تراه يستقصى دقائق عمله ويستشف بواطنه ويدير ببده دقيقه وعظيمه ولا يطمئن لشىء لم يشرف هو بنفسه عليه فالناس منه فى راحة وهو من نفسه فى عناء — كان فى المدرسة نحو الاربعمائة طالب ولست أكذبك اذاقلت ان كل طالب كان يشعر بان ناظره يعرفه ويقدره ويزن كفاءاته العلمية والخلقية وان نظره ينفذ الى أعماق نفسه فيعرف بواطنه ، قد أعد للطلبة دفتراً وجعل لكل طالب صفحة يقيد فيها بخطه مايصدر عنه

فهو يشف ظاهره عن باطنه ، ويتمثل قلبه فى لسانه . عمله فى النور دائما ليس للدس ولا للجاسوسية رواج عنده

صادق فى القول حتى لم يأخذ عليه أستاذ ولا طالب كذبة ، وله ارادة جبارة تستهين بالشهرة والمنصب والمرض ، وعدل دقيق مع من يحب ومن يكره ، مع الحول ومن لاحول له ، لا يبالى من يعادى متى صادق الحق ، من طلب منه غير الحق رده فى اناة فأن اعاد عليه الرجاء رده فى جفاء

هـذا الى صراحة فى القول نادرة واجبة ان تكون وأن تشيع ، شعرنا بمرارتها لما شاع عندنا من نعومة فى المعاملة وانمياع فى الاخلاق لايجد التردد الى نفسه منفذاً . ان قال لا فلا الى الابد . او نعم فنعم لا الى حين

وهو فى سياسته سيكولوجى ماهر ، يشتد ويلين . ويوعد ويعد ويعبس ويبسم بميزان دونه ميزان الذهب ، يعالج فلا يخطىء فى العلاج تارة بالسم وطورا بالترياق . شعر طلبته بانه كبير العقل كبير النفس دقيق النظر دقيق العدل فهابوه ، وشعروا بأنه يستر وراء ظاهره غير الناعم قلبا رحيما فاحبوه ، فكان من ذلك هيبة وحب قل أن يجتمعا لرئيس ، هل رأيت مثله كثيرا ناظرا يرى كل طالب ان علم ناظر بجريمته اكبر من كل عقوبة ولتمنى ان يعاقب على يد غيره ضعف عقوبته على شرط ألا يعلم هو بالجريمة . أو رأيت ناظرا فزع طلبته لخروجه من بينهم كما فزع طلبته يوم أحيل الى المعاش ورأيت جزعا يفتك بالصبر وحزنا يقلقل الاحشاء كالذى كان عند وفاته

*
* *

ولم يكن مايعانيه من شؤون المدرسة فى الخارج باقل مما يعانيه فى شؤونها الداخلية . فما السفينة لعبت بها الامواج وأشرفت على الغرق يحاول ربانها النجاة بها . ولا البيت تلتهم النيران ماحوله ويعمل صاحبه على الحيطة له يعادل ما كانت تعانى مدرسة القضاء من اغراض عديدة

تريد القضاء عليها . ومع ذلك ظلت زهرة المدارس مابقيت فى حماه — تسلمها نواة صغيرة وسلمها شجرة يانعة تؤتى اكلها كل حين باذن ربها

ومن غريب امره انه مع كل مايعمل وما يعانى لاتكاد تسمع له حديثا عن نفسه ، تكون المدرسة من احرج أوقاتها وهو يعمل يجد ويهرب بها من المعارف الى المجلس الاعلى ومن المجلس الاعلى الى الحقانية ويعانى فى ذلك الامرين فاذا جلست اليه سمعت كل شىء الا انه عمل أو عانى ، واذا ظفر بطلبته لم تظفر أنت بكلمة يحدثك بها عن نفسه

هذا عاطف لمن لم يعرفه ، وهذا عاطف الذى غاب من مدرسة القضاء ليطلع فى أفق المعارف فغاب فى مشرقه

فاللهم كما قدرت علينا عظيم الرزء قدر لنا جميل الصبر ، وكما سلبت الامة عظيما عوضها عظيما . واحسن اليه كما احسنت لامته انك سميع الدعاء

احمد امين

*
* *

ثم قام الشاعر البدوى القدير الشيخ محمد عبد المطلب فالقى هذه القصيدة الغنية عن أن نشيد بها

وكان لهذا الروض خير سقاة

أخلاى هل يشفى من الحسرات ... قلوب جرت ذوباً مع العبرات
وهل يرقأ الدمع الغزير لناظر ... الى الربع أمسى موحش الجنبات
هوى نجمه فاربد وجه سمائه ... باسود من هم ومن ظلمات
ذوى نوره فى روضة قبل ينمه ... ولو طاب أجنى طيب الثمرات
لك الله من مغنى جعلناه المنى ... مراداً فامسى موطن العبرات
نحييه بالنعمى فيعيا وعهدنا ... به ناعم الآصال والبكرات
وهل نعمت دار تحمل أهلها ... على نجب نحو الردى عجلات
وهل حملت نجب الردى مثل راحل ... بكته المعالى من بنى بركات
بنى النفر البانين ركن سرائهم ... على ذى قلال باذخ وسراة
فيا بؤس للناعى اذا قيل عاطف ... طوته أكف الموت فى الحفرات
بكته البوا كى يفتدين حياته ... لواسطمن بالاحشاء والمهجات
بواك من الثغرين دوى رنينها ... الى شعب النهرين فالبحرات
يناوحن أحداداً عليه مدارساً ... تعمدهن الثكل بالحسرات
معاهد علم بعده جف روضها ... وكان لهذا الروض خير سقاة
تجاوبن ايقاعاً على نغم الاسى ... أناشيد بالاحزان مؤتلفات
يبكين مشبوب الصبا خلع الصبا ... على الدرس لم ينعم بطيب حياة
بروحى شباب أظمأ السقم عوده ... فصوح بعد الزهو والنضرات
كأنى به اذ نحن فى رونق الصبا ... نضير المحيا باهر القسمات

شباب يروع الدهر بالحسن أسرفت ... يد العلم فى أيامه النضرات
ولو شاء عيش المترفين سعت له الا ... مانى باللذات مبتدرات
اذ العيش معسول الجنى وارف الغنى ... وفى بما شاء الشباب موات
ولكن نفساً أثقل المجد حملها ... تفوت مراميها مدى الشهوات
كذاك رأينا عاطفاً بمرامه ... من الدهر فى جهد وفى غمرات
معنى بحاجات العلى عند نفسه ... بعيد مدى الآمال والعزمات
أبياً على الداء العضال وهل أبى ... على الداء كبراً سا كن الاجمات
فلم نره يوماً شكا سوء ما به ... وهل نطقت أسد الشرى بشكاة
تحمل أحلام الكهولة يافعاً ... وأغنى غناء الشيب فى الصبوات
ذكاء له من خلف نفسك مذهب ... يحيط بما تخفى من الخطرات
وعين لها فى كل قلب محدث ... يصدق ما توحى من النظرات
وفضل حجا تلقاه فى كل مأزق ... على منهج أمن من العثرات
وأخلاق حر يعرف الحق صدقها ... وان قال فيها قائل بهناة
شمائل يبنين المناقب فى الذرى ... ويحيين ميت العمر بالذكرات
يقولون أودى ربها غير مخلف ... بنين على اثاره وبنات
رويدكم ان الحجا يلد الحجا ... ولا عقم الا فى نهى وحصاة
وقد ينفد المسك الذكى معقبا ... سواطع من أرواحه عطرات
ومن مات من أهل العلى خلع العلى ... على ملأ من قومه وسراة
ومن يفن فى نشر المعارف يحى فى ... اساتذة رباهم وهداة

ومن الذى ربى كابناء عاطف ... أئمة هدى أو عدول قضاة
وهل يستوى من أورث العلم والتقى ... ومن أثقل الابناء بالتركات
تراثان هذا تعمر الارض باسمه ... وذاك بها يلقى الى الهلكات
وكدنا نرى أم اللغى قيل عاطف ... فريسة عاث بالمعارف عات
يريد بها السوءى ويحمل أهلها ... على جنف من بغية وأذاة
تلين لايدى الغامزين قناتها ... لقلة أنصار وضعف حماة
ويوئسنا منها أناس نعدهم ... لكف أذى عنها ورد عداة
فلما تولاها تحول نجمها ... الى الثمن عن أيامها النحسات
وما لبثت حتى تجلى جمالها ... وقرت على العليا من الدرجات
يعز الحمى ان عز من ولى الحمى ... ومن أين للاروى عرين لباة
عزاء لأم الضاد ان تبك فقده ... فكم ثاكلات حولها وبكاة
بكته بلادكم بكى يوم اجليت ... عليها صروف الدهر بالنكبات
دمع أبى النفس فى الخطب نجدة ... اذا ماجرى أجرى دم الازمات
فكم موقف فيه شهدنا لعاطف ... على النيل من أيدو من حسنات
ففى ماله بر وفى نفسه فدى ... وفى رأيه للحزم خير أداة
ويوم شهدنا عاطفاً وسط هوله ... شديد القوى فى مرة وثبات
يناصر فى الجلى أخاه وخاله ... وخيل العدا تختال فى الجلبات
اذ الناس هذا يتقى البأس محجما ... وذلك يزهاه الهوى بثبات
تقدم بين المعلمين مقذفا ... يساور ليث الدهر فى الوثبات
فلله أنجاد قضى صدق بأسهم ... على نوب الايام بالغلبات

تواصوا بنصر النيل ثم انبروا له ... على هم جياشة النجدات
وثاروا له بين القنابل والقنا ... وليث الردى جاث على الفتكات
ليوثا تجلى الحق فى غضباتها ... وقد يتجلى الحق فى الغضبات
فما أبهوا الموت أو رهبوا له ... جنودا على العدوان مقتدرات
يفـديهم أبناء مصر بأنفس ... على مصر من وقع الردى حذرات
فوا رحمتا يا مصر دعوة موجع ... سقاه الاسى مرا من الجرعات
له كل يوم موقف بعد هالك ... ثوى فى طباق الرمس بالفلوات
يذكر أهليه العزاء تعلة ... ويدعو لثاوى الرمس بالرحمات
وطورا على الذكرى ترى حسن صبره ... تصرم بين الوجد والزفرات
أخلاى مالى لا أرى بيننا أخا ... عهدناه زين الجمع والحفلات
سريعا اذا جد البيان بأهله ... الى موقف السباق ذى القصبات
لقد كان أحنى بى اذا قمت منشداً ... وأول من يصغى الى كلماتى
وعونا لسعد يوم لاعون يرتجى ... لمصر على أيامها النكدات
فهل يستعين النيل وارحمتا له ... على خطبه بالصبر والصلوات
عزاء عزاء آل سعد فانما ... قضى الله والدنيا سبيل ممات

*
* *

وأعقبه حضرة الشيخ عبد الوهاب خلاف يضرب أمثلة بارعة من أخلاق الفقيد الذى كان « أمطرته شآبيب الرحمة » مثلا عالياً للفضيلة فى أجلى مظاهرها

وبعد ئذ قام حضرة صاحب العزة على الكيلانى بك ناظر مدرسة القضاء فتكلم عن المرضى عنه من وجهة نجاحه فى تكوين طلابه ذلك النجاح الذى لمسه القضاء الشرعى وقرت به عين الفضيلة

وهنا كان نظام الحفلة يقضى بعشر دقائق استراحة ولكن كثرة المتكلمين ورغبة الحاضرين فى السماع جعلت القول يلقى تباعا فقام بعد الكيلانى بك حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبد الرحمن الجديلى فألقى يتيمة أمير الشعراء شوقى بك التى كانت مثلا من الوحى الحر الذى يهبط من عالم الشعر فى اسمى عليائه الى مستقر القلوب والوجدان

يتيمة شوقية

خفضتُ لعزة الموت البراعا ... وجدَّ جلالُ منطقه وراعا

كفى بالموت للنُّذُر ارتجالاً ... وللعَبَرات والعِبَر اختراعا

حكيمٌ صامتٌ فضح الليالى ... ومزَّق عن خَنَا الدنيا القِناعا

اذا حضر النفوسَ فلا نعيما ... ترى حول الحياة ولا متاعا

كشفتُ به الحياة فلم أجدها ... ولمحةَ مائها الا خِداعا

وما الجرّاحُ بالآسى المرجّى ... اذا لم يقتل الجنسَ اطلاعا

فان تقل الرثاء فقلْ دموعا ... يصاغ بهنّ أو حِكما تراعى

ولا تكُ مثل نادبةِ المسجّى[1] ... بكتْ كسباً ولم تبكِ التياعا

---

(١) سجى الميت غطاه بثوب

خلتْ دول الزمان وزُلنَ ركناً ... وركنُ الأرض باقٍ ماداعى
كأنَ الأرضَ لم تشهد لقاءً ... تكادُ له تميدُ ولا وَداعا
ولو آبتْ ثواكلُ كل قرن ... وجدن الشمسَ لم تشكل شعاعا
ولكن تضربُ الأمثال رشداً ... ومِنهاجاً لمن شاء اتباعا
ورب حديثِ خيرٍ هاجَ خيراً ... وذكر شجاعة بعَث الشجاعا

* * *

معارفُ مصرَ كن لهن ركنٌ ... فذقنَ اليومَ لاركن انصداعا
مضى أعلى الرجال لها يمينا ... وارحبهم بخلتها ذراعا
وأكثرهم لها وقفات صدق ... إباء فى الحوادث أو زَماعا (١)
أتته فنالها نَفَلا وفيئاً ... فلا هبةً أتته ولا اصطناعا
تنقّل يافعا فيها وكهلا ... ومن أسبابها بلغ اليَفاعا
فتى عجمته أحداثُ الليالى ... فلا ذلا رأين ولا اختضاعا
سجينٌ مهنداً وتفين تِبراً ... وزِدْنَ المسك من ضَغطٍ فضاعا
شديدٌ صُلبٌ فى الحق حتى ... يقولَ الحقُ لينا وانداعا
ومدرسة سمتْ بالعلم ركناً ... وأنهضتْ القضاء والاشتراعا
بناها مُحسناً بالعلم برا ... يشيدُ له المعالِمَ والرباعا
وحارب دونها صرعى قديم ... كأن بهم عن الزمن انقطاعا

---

(١) الزماع المضاء والعزم على الامر

اذا لَمَحَ الجديدُ لهم تولّوا كذى رمد على الضوء امتناعا

* * *

أخا «سيشيلَ» لاتذكر بحارا بعدنَ عن المزار ولا بقاعا
وربّك ماوراء نواك بعدٌ وأنت بظاهر الفسطاطِ قاعا
نزلتَ بعالم خرق القضايا وأصبح فيه نظمُ الدهر ضاعا
تخلّ الأربعين لحافليها وقُمْ تجد القرون مَرَرْنَ ساعا

* * *

مَرضتَ فما ألحّ الداء الاّ على نفس تعودتِ الصراعا
ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابتْ مُعلّلَ كلّ حادثةٍ قِراعا
ومَن يتجرع الآلامَ حيناً تسُغْ عند الممات له اجتراعا
أرقتَ وكيف يُعطى الغُمضَ جفنٌ تَسلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا
ولم يَهدأ وسادُك في الليالي لعلمك أن ستُفنيها اضطجاعا
عجبتُ لشارح سَبَبَ المنايا يسمّى الداء والعِلل الوِجاعا
ولم تكن الحتوفُ مَحَلَّ شك ولا الآجالُ تحتملُ النزاعا
ولكن صُيِّدَ ولها بزاةٌ تَرى السرطانَ منها والصُداعا
أرى التعليمَ لما زُلتَ عنه ضعيفَ الركنِ مخذولاً مُضاعا
غريقٌ حاولتْ يدُه شِراعا فلمّا أوشكتْ فقد الشراعا

سَراةُ القوم منصرفون عنه ... وصحفُ القوم تقتضبُ الدفاعا
لقد نَسَأَهُ يومُك ناصباتٍ ... من السنواتِ قاساها تِباعا
قُمْ ابنِ الأمهاتِ على أساس ... ولا تبنِ الحصونَ ولا القلاعا
فهنَّ يلدْنَ للقصبِ المذاكي (١) ... وهنَّ يلدْنَ للغاب السباعا
وجدتُ معانيَ الأخلاق شتَّى ... جُمِعْنَ فكنَّ في اللفظ الرَّضاعا
عَزاءَ الصابرين أبا بهيٍّ ... ومثلكُ من أناب ومن أطاعا
صبرتَ على الحوادث حينَ جاءَتْ ... وحين الصبر لم يك مُستطاعا
وإنَّ النفس تَهْدأُ بعد حينٍ ... اذا لم تلقَ بالجزَع انتفاعا
اذا اختلفَ الزمانُ على حزين ... مَضَى بالدمع ثم محا الدماعا
قُصارى الفرقدين الى قضاءٍ ... اذا عَثَرا به انفصما اجتماعا
ولم تحوِ الكنانة آلَ سعدٍ ... اشدَّ على العِدى منكم نِباعا
ولم تحمل كشيخكم المُفدَّى ... نهوضاً بالامانة واضطلاعا
غداً فصلُ الخطاب فمن بشيرى ... بان الحق قد غلب الطماعا
سلوا أهلَ الكنانة هل تداعَوْا (٢) ... فان الخصمَ بعد غدٍ تداعى
وما (سعد) بمُتجر اذا ما ... تعرضتْ الحقوق شرى وباعا
ولكن تحتمي الآمالُ فيه ... وتَدَّرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا
اذا نظرتْ قلوبكمو اليه ... علاَ للحادثات وطالَ باعا

---

(١) القصب قصب السبق والمذاكي الخيل التامة السن الكاملة القوة
(٢) تداعي الجيش أوالعدو أقبل واجتمع

وعلى أثر ذلك قام حضرة الاستاذ الشيخ عباس الجمل يتكلم عن المؤبن باعتباره شهيد الواجب فألقى كلمة قيمة عن تعلق الفقيد بالواجب وتعلق الواجب به حتى كانا صديقين متحابين وتوءمين لا يفترقان .

وبعده قام حضرة الشيخ عبد السلام البجيرمى متكلما عن آثاره فى رجال القضاء الشرعى الذين خرجهم أحسن تخريج وقدم بهم للبلد أجل خدمة .

وبعده قام حضرة الأديب الشاعر محمد افندى الهراوى فألقى قصيدة استمد أبياتها العامرة من صفات الفقيد وأطواره وهاهى تلك:

قصيدة الهراوى

تخلى عن العبء الذى هو حامله ... ولولا الردى لم يعى بالعبء كاهله
تولى — على الاسقام — آمال أمة ... يحاولها والموت جاث يحاوله
فما شغلته عن أمانى قومه ... عواد ولكن الأمانى شواغله
يقول لنفس شفها البرح : « أقدمى ... فأنت الفدى ان عاد بالفوز آمله
فاما الى الأوج الذى هو مطمحى ... واما الى القبر الذى أنا نازله »
رويدك لم تقصر خطاك عن المدى ... ولكن هذا الموت حالت حوائله

* * *

من الناس من يبغى المناصب مظهراً ... يجامل فيه الناس وهى تجامله
ومنهم أناس يبتغون بها هوى ... وورداً الى الغايات تصفو مناهله
وتلك لعمر الحق شر حكومة ... اذا وليت أمرا أصيبت مقاتله

وما كان فى كل المناصب «عاطف» سوى مثل عال قليل عمائله
صريح يقول الحق مرا ولا يرى من الحق اخفاء الذى هو قائله
ويفعل ما يوحى اليه ضميره وان خالف الأهواء ماهو فاعله
ويكره ايصال الأذى غير أنه اذا مارأى فيه صلاحا يواصله
وما كان يغرى بالوعود مؤملا ولا يدعى علم الذى هو جاهله
وما مال الا للحقائق سمعه ولا خاب الا فى الأباطيل سائله
وما عزه أمر تصدى لحله برأى ولا استعصت عليه مشاكله
وما كان يبدى رأيه غير واثق وان يبد رأيا لم تفته وسائله
وكان يرى فى الخلق أكبر حاجة الى بلد قد أعوزته فضائله
فربى على الأخلاق لا العلم وحده أوائل نشء . والبناء أوائله
وقد طبعت أخلاقه فى نفوسهم فما منهمو فى الخلق الا مشاكله
فان لم يلد أو لم يؤلف فانهم بنوه ، وهم أسفاره ورسائله

* * *

وكان له فى اليأس جرأة خاله وكانت له فى الحادثات شمائله
تعرض للجلى على رأس عصبة يناضلها خصم الحمى وتناضله
فما أرهبتهم فى الجهاد سيوفه ولا أزعجتهم فى البلاد قنابله
وما حولتهم غير أسد سجونه ولا زودتهم غير عزم معاقله
سواء لديه فى هوى مصر «سيشل» ومصر وقد ضمته فيها منازله
نعم عاد للأوطان باذل روحه لها غير منان بما هو باذله

وقد غاب عنها وهو غير مفارق ... يزايلها لكنها لاتزايله
وآب اليها ينهك الجسم والحجى ... الى أن تداعت فى الجهاد مفاصله
وعاجله صرف المنون ولم يكن ... أتم الى الأوطان ماهو كافله
فأى الرجال الغر حجبه الثرى ... وأى رجاء فيه غطت جنادله

***

وكان القول لحضرة النائب المحترم محمد افندى صبرى أبى علم عضو مجلس النواب عن حياة الفقيد السياسية ولما أحس بضيق الوقت تفضل كرماً منه فترك القول لمن بعده وكذلك اقتدى به فى هذه المكرمة التى أسف لها الحاضرون الشيخ محمد المعداوى الطالب بدار العلوم فترك القاء قصيده . نعم أسف الحاضرون لأن كلمة حضرة النائب كانت خير معبر عن حياة الفقيد السياسية التى برز فيها تبريز السابقين الأولين فكانت متكافئة كل التكافؤ مع حياتيه العلمية والخلقية ولأن قصيدة هذا الطالب كانت خير معبر عن الروح الحية التى كانت تفيض من الطلبة عامة وطلبة دار العلوم التى خرجت الفقيد خاصة نحو فقيدنا وفقيد الأمة

وبعد ذلك قام حضرة المربى الفاضل احمد فهمى المرسى بك عضو مجلس النواب يشرح طرفا من أخلاق الفقيد فى الاسفار وأثره فى وكالة المعارف أما الشق الأول فقد استمده من مخالطة سفرية كانت بينهما فساق القول واسعا طريفا مشوقا وأما الثانى فكان ينبوعه تلك الأعمال الكثيرة التى أتمها عاطف باشا اذ رسم خططها فى المدة القصيرة

زمناً الطويلة عملا التى مكنها فى وكالة هذه الوزارة الحزينة افقده اليائسة لوفاته

* * *

ثم قام من بعده حضرة حافظ ابراهيم بك شاعر النيل فألقى من وحى الشعر وسحر البيان هذه القصيدة العصماء

هدم الموت عمر بانى الرجال

ثمن المجد والمحامد غالى ... آل زغلول فاصبروا للبالى
قد هوى منكمو ثلاثة أقما ... ر خلت منهمو بروج المعالى
مات ، فتحى ، ومن لنا بحجاهُ ... وأفانين فكره الجوّال
كان أعجوبة الزمان ذكاءً ... ومضاءً فى كل أمر عُضال
(وسعيد) وكان غصناً نديًا ... فتّحت فيه زهرة الآمال
وقضى (عاطف) وكان عظيماً ... صادق العزم مطمئنّ الخلال
يهزل الناسُ والزمان ويأبى ... غير جدّ مواصل ونضال
ساهد الرأى نامّ الحقد لاهٍ ... عن ملاهي الورى عفيف المقال
قد جلا سيف عزمه صيقل النفـ ... ـس فأربى على السيوف الصقال
وغمت رأيه التجارب حتى ... بات أمضى من نافذات النبال

* * *

يا شهيد الاصلاح غادرت مصرا ... وهى تجتاز هول دور انتقال

لو تريثت لاستطال بك النيـل ... على هـذه الخطوب التوالى
غـير أن الردى وإن كثر النا ... سُ حريص على البعيـد المنال
كلما قام مصلح أعجلتهُ ... عن مناه غوائل الآجال
يُخطف النابغ النبيه ويبقى ... خامل الذكر فى نعيم وخال
أيعيش الرئبال فى الغاب جيـلا ... ويرُ الغراب بالاجيـال

* * *

كنت فوق الفراش والسقم بادٍ ... لهف نفسى عليك والجسم بال
لم يزحزحك عن نهوضك بالاعباء ... داء يميت أسـد الدحال
شغلتك الجهود والداء يمشى ... فيك مشى المحاذر المغتال
لم يدع منك غـير قوة نفس ... تتجلى فى هيكل من خيال
عجز السقم عن بلوغ مداها ... فمضت فى سبيلها لاتبالى
لم تزل فى بناءة النشء حتى ... هـدم الموتُ عمرَ بانى الرجال
عجب الناس ان رأوا سرطان البحر ... قد دبَّ فى رءوس الجبال
من رأى (عاطفا) وقد وصل الا ... شغال بعـد الهـدوّ بالاشغال
ظن — أوكاد — ان أول نومٍ ... نامهُ كان تحت تلك الرمال
أو رأى قوة العزيمـة فيه ... وهو فوق الفراش بادى الهزال
ظن بأس الحـديد فارق مثواه ... اجتواءٌ وحـلَّ عود الخـلال

* * *

قـد تبيَّنْتَ كل معنى فانكر ... تَ على السالفين معنى المحـال

رمت فى لشهر صلاح امور ... دمّرتها يد العصور الخوالى
رمت إصلاح ماجنت يدُ دنلو ... ب على العلم فى السنين الطوال
وقليلٌ عندى لها نصف جيل ... لمجدٍ موفقٍ فعّال
لم تكن مصر بالعقيم ولكن ... قد رماها اعداؤها بالخيال (١)
أفسحوا للجياد فيها مجالا ... قد أضرّ الجيادَ ضيقُ المجال
اصبحت فى القيود تمشى الهوينا ... كسفين يَمْرُنَ مجرى القفال
فاصدعوا هذه القيود وخلّو ... ها تبارى فى السبق ريح الشمال
عَرَف الغرب كيف يستثمر الجد ... فيبنى بفضله كلّ عال
ودرى الشرق كيف يستمرىء اللهو ... فيُفضى به الى شر حال
فاتركوا اللهو فى الحياة وجدّوا ... إن فى اسم الرئيس أيمَنَ فال
واصنعوا صنع عاطف واذكروه ... آية المجد ذِكرةُ الأبطال

* * *

يامحب الجدال ثم مستريحا ... ليس فى الموت مَنفذ للجدال
صامتٌ يسكت المفوّه فاعجب ... وبطىءٌ يَبرُّ خَطْوَ العجال
كل شىء الا التحيّة (٢) يُرجى ... فهى لله والدُّنى للزوال
ان بكت غيرك النساء واذرفن ... عليه الدموع مثل اللآلى
فعلى المصلحين مثلك تبكى ... ثم تبكى جلائل الاعمال

---

(١) الخيال العقم (٢) التحية الخلود

وكان آخر المؤبنين حضرة صاحب السعادة حمد الباسل باشا وكيل الوفد المصرى ومجلس النواب فالقى بالنيابة عن الوفد كلمة فى منزلة الفقيد السياسية وأعماله فى هذا الميدان الشديد فكان فى ذلك مايضاعف الأسف على فقده ويديم الاحزان لوفاته .

وفى الختام قام حضرة صاحب المعالى فتح الله بركات باشا وزير الزراعة فشكر للأمة عموما والحاضرين خصوصا تقديرهم لاعمال الفقيد وقيامهم عن شعور حى واخلاص حق باقامة هذه الحفلة حفلة التأبين التى كانت خير عزاء لآل الفقيد واكبر تقدير لأثره فى الامة

هذا وان صحيفة المعلمين المعبرة عنهم وعن نقابتهم لتتقدم الى آل الفقيد بل والى الأمة جمعاء بتعزيتها عن فقده سائلة لهما صبرا جميلا وله رحمة واسعة ؟